الباب السادس
في الشبهات المتعلقة بالهيمنة

الفصل الأول - الهيمنة المحلية على الإفتاء المحلي.

الفصل الثاني - الهيمنة الدولية على مجلس الإفتاء الدولي.

الفصل الأول
في الهيمنة المحلية

قالوا: كيف نعطي الولا للإفتاء في الوقت الذي تهيمن عليه الحكومة.

والجواب: إن هذه الهيمنة غير موجودة أصلاً بمقتضى المادة الأولى من المرسوم الثامن عشر والتي نصها: المسلمون السنيون مستقلون استقلالاً تاماً في شئونهم الدينية وأوقافهم الخيرية يتولون تشريع أنظمتها وإدارتها بأنفسهم طبقاً لأحكام الشريعة الغراء والقوانين والأنظمة المستمدة منها بواسطة ممثلين منهم من ذوي الكفاءة وأهل الرأي. أ هـ.

فإذا كان هذا هو القانون وقد نص على استقلالية المسلمين في إدارة شئونهم الدينية وكان هناك هيمنة من أي جهة كانت على الإفتاء فإن الأمر لا يخلو من أحد احتمالين:

الإحتمال الأول:

أن يكون هذا التجاوز ناشئاً عن طمع من الجهة التي تفرض سيطرتها على الإفتاء في اختطاف حقه الطبيعي الذي يقرره له القانون لإلغاء الإفتاء أصلاً أو لإلغائه حكماً بإلغاء دوره عن طريق ممارسة الضغوط عليه ليكف عن فعل شيء أو ليفعله وليس فيه مصلحته.

الإحتمال الثاني:

أن يكون هذا التجاوز ناشئاً عن تهاون رأس الإفتاء في ممارسة حقوقه القانونية مما يحمل الآخرين من أي جهة كانوا بحكم طبيعة الصراع بين البشر

التي خلقهم الله تعالى عليها والتي من جملة أسبابها شهوة الجاه وحب التسلط والسيطرة على الغير على انتهاز الفرصة لفرض هيمنتهم على هذا الموقع لابتزازه سلباً بالحيلولة دون تمكينه من القيام بدوره أو إيجاباً بدفعه لممارسة أعمال أو أقوال تصب في مصلحة هذا المتدخل في النهاية.

السبب المشجع على الهيمنة:

وفي الحالين يعود سبب هذا التجاوز والسعي إلى إلغاء أو فتاء إلى انفضاض القاعدة عن القيادة مما يضعفها عن القيام بواجبها تجاه من تمثله في الداخل أو تجاه من يطمع في مواقعها وحقوقها في الخارج.

ولذلك فإنه بمقدار تلاحم القاعدة مع القيادة بمقدار ما تقوى القيادة ويتعذر على الطامعين في الأمة أن يفرضوا عليها هيمنتهم وبمقدار انفضاض القاعدة عن القيادة أو تفكك القاعدة في ذاتها بمقدار ما ينفتح المجال للطامعين في فرض هيمنتهم على الأمة وتحقيق مطامعهم فيها.

ولهذا أمر الله تعالى بوجوب طاعة ولي الأمر بالمعروف وحرم الخروج عليه ومنع من تعدد الولاء وحذر من الشقاق والتنازع وأوجب التلاحم بين المؤمنين على مستوى القمة والقاعدة وعلى مستوى القاعدة بعضها مع بعض فقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾**[1]، **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾**[2].

فنحن الذين نستطيع أن نقوي أنفسنا بتوحيد ولائنا في علاقتنا مع الله ورسوله وفي علاقتنا مع المؤمنين، فلا يتمكن الآخرون من فرض هيمنتهم علينا.

ونحن الذين نضعف أنفسنا بتعديد ولائنا في العلاقة مع الله تعالى بالشرك به وفي العلاقة مع المؤمنين بالشرك في الولاء فيهم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

الفصل الثاني:
في الهيمنة الدولية

قالوا: كيف نعطي الولاء للإفتاء المحلي ليقوم بالسعي لإيجاد مجلس إفتاء دولي يضم جميع المفتين في البلاد الإسلامية لينتخبوا واحداً منهم ويكون المفتي الأكبر هو رأس المسلمين، مع أن الدول الكبرى لا تسمح بذلك.

والجواب: إن هذا المشروع ليس تصادمياً حتى تتخذ منه الدول الكبرى أو الدول الصغرى مواقف عدائية لمنعه من الإنتشار والتوضّع على الأرض لأنه يحمل معاني السلم والسلام والأمن والأمان للجنس البشري بتوجيه نداء الإسلام إلى جميع أصقاع الأرض عن طريق الكلمة الصحيحة والواعية كلمة الإسلام الذي هو دين الفطرة المنسجم معها انسجام الجسد مع الروح وانسجام الأعضاء في البدن بعضها مع بعض كما قال تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**﴾[1]، وكما قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونون أنتم تجدعونها»[2].

فالأصل أن الفطرة في الإنسان تجعله مستعداً لتقبل كلمة الله تعالى التي لم

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي عن الأسود بن سريع مختصراً ورمز له السيوطي بالصحة ووافقه المناوي على ذلك، انظر فيض القدير جـ ٥، ص ٢٣ رقم الحديث ٦٣٥٦.

يدخلها التحريف والتشويه وتنقاد لها ما لم يدخل على هذه الفطرة عوائق من البشر الذين انحرفوا عنها بتقبلهم الإضافات التي انحرفت بالدين عن مساره الصحيح إلى النفوس البشرية فلفظته وفرّت منه بل وحاربته وهي جاهلة بحقيقته، والذي حملها على ذلك الموقف هو الشيطان الذي استجابوا لوساوسه وتزييناته وتمويهاته فجعل منهم أدوات لطمس الفطرة في داخل النفس: وأدوات للضغط عليها من خارج النفس كي يختطف أكبر عدد ممكن من البشر ليشاركوه المصير المحتوم الذي ينتظره يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾[1].

وجوب إيصال الكلمة الشرعية إلى جميع البشر:

ولا شك أن إيصال هذه الكلمة إلى العالم واجب شرعي على هذه الأمة لتزيل المنكرات على اختلافها من الأرض كما قال تعالى: ﴿**كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[2]، ﴿**ولتكن منكم أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾[3]، ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**﴾[4].

كيفية إيصال الكلمة الشرعية للبشرية:

والأصل أن هذه الكلمة تعرض على أسماع البشر على الوجه الذي نزلت عليه خالية من إضافات البشر وبالأسلوب الذي أراد الله تعالى أن تصل به إلى البشر كما قال تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾[5]، وقال: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي**

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٣.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[1]، وقال: **﴿قل هذه سبيلي ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾**[2].

لأن هذا الأسلوب يفتح قلوب الناس لسماع كلمة الله تعالى وتقبلها، وبالتالي يتحولون من خصوم للإسلام إلى مؤيدين له بل وداعين إليه وأما الحاقدون فهؤلاء سوف يتولى الرد عليهم من آمن من أبناء دينهم وبلادهم وإذا أصرّ هؤلاء على المواجهة فثمة وسائل لمنعهم من فرض هيمنتهم:

الوسيلة الأولى ـ المعادلات الدولية:

هناك معادلات دولية جعلها الله تعالى بين الناس أفراداً وجماعات ودولاً يمكن الإستفادة منها عبر توظيفها فيما يرد كيد الحاقدين في نحورهم ويجعل تدميرهم في تدبيرهم وقد قال تعالى: **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾**[3]، **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾**[4].

الوسيلة الثانية ـ الطاقات العربية الإسلامية:

وفي العالم العربي والإسلامي من السياسيين والدبلوماسيين من يحسن توظيف هذه المعادلات والإستفادة من هذه السنة الإلهية لدفع ضغوط وأخطار هذه الدول بموجب ما شرع الله تعالى لنا من أحكام تشريعية تحدد العلاقة بين الله والإنسان وبين الإنسان والإنسان سواء كان هذا الإنسان مؤمناً ومؤمناً أو مؤمناً وكافراً، وسواء كان هذا الإنسان من أهل الأديان السماوية أو من أهل المذاهب الأرضية[5].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
(٥) انظر بتوسع في هذا الموضوع كتابنا: تصوير الكتاب والسنة للإنسان.

الوسيلة الثالثة ـ مراعاة التصنيف الشرعي للبشر أثناء التعامل معهم:

وحين **نلتزم** أمر الله تعالى في تحديد العلاقة مع الناس والتي صدرت عن علم الله تعالى بالنفوس وما تكنه الصدور والتي صنف بموجبها الأعداء والأصدقاء كي لا نضل عن الحقيقة بالإجتهاد في البحث عنها، وهي مما اختص الله تعالى بعلمه لأن العداء عمل القلب والقلوب لا يعلم ما فيها إلا الله تعالى، فإننا عندئذ سوف نأمن على أنفسنا أن نضع الاجتهاد في غير محله فنصيب قوماً بجهالة ونصبح على ما فعلنا نادمين **﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾**[1]، **﴿والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً﴾**[2].

أثر وحدة الولاء في نشر كلمة الله الشرعية:

فإذا وحّدنا ولاءنا على الصعيد المحلي أفراداً وجماعات وحركات وجميعات وأحزاباً وتنظيمات وشخصيات فإننا نصبح أهلاً لأن نوصل كلمة الله تعالى إلى الدول الإسلامية لتوحد ولاءها مع الله تعالى ومع المؤمنين.

وإذا وحدنا ولاءنا على الصعيد الدولي في الدول العربية والإسلامية فإننا نصبح عندئذ أهلاً لأن نوصل كلمة الله تعالى إلى العالم جميعاً، تحقيقاً لدعوة الحق التي جاء بها محمد ﷺ.

وذلك لأننا نصبح قدوة خير مع كلمة الحق وذاك افعل في النفوس من من أن نقول ما لا نفعل فنصبح فتنة للذين كفروا حيث يعتبرون أن كلمة الحق التي ندعوهم اليها غير جديرة بالإتباع لأنها لو كانت حقاً كما نقول لصححت من أوضاعنا وآلفت بين قلوبنا فيصدهم حالنا عن الإستجابة لمقالنا.

ولهذا حذر الله تعالى المؤمنين من مخالفة القول للعمل فقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ن تقولوا ما لا تفعلون﴾**[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الصف، الآية: ١.

ولا شك أن هناك فرقاً بين المبدأ والتطبيق فلا يجوز أن يكون الإنحراف في التطبيق دليلاً على انحراف المبدأ لأن الإنحراف في التطبيق قد يكون عن جهل وقد يكون عن قصد سيء لتنفير الناس عن المبدأ.

ولكن الناس في الجملة فطروا على الربط بين الأمرين فلا يجوز أن نعطي المغرضين فرصة النيل من هذا الدين بإساءتنا لتطبيقه وتفرق كلمتنا وتعدد ولاءاتنا فنبوء بخسارة الدنيا والآخرة.

فلنخرج من دائرة الأنانية على صعيد الأفراد والجماعات لنصير في دائرة الكل المحلي ومنه إلى دائرة الكل الدولي لنوصل كلمة الله تعالى إلى العالم حملاً للأمانة ودعماً للحق في كل مكان ضمن إطار الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن على بصيرة الكتاب والسنة.

وأخيراً:

وفي نهاية الكلام على الشبهات نقول: إنه كثيراً ما تكون إثارة الشبهات حول المشروع بدوافع متعددة شخصية أو حزبية تحمل صاحبها على بثها لطمس الحقيقة وتزوير الواقع في أعين من يكنون له الإحترام لتبقى الأعين متجهة إليه أو إلى حزبه ولتبقى القلوب مرتبطة به دون غيره ولو على حساب الحق والحقيقة ولو على حساب الأمة في سلامتها وأمنها العقائدي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري الفردي والجماعي المادي والمعنوي الذي ينشأ عن إثارة تلك الشبهات وتوقع الكثير من الناس في حيرة من أمرهم تجاه الحق الذي يجب عليهم أن يؤيدوه فيعمد الكثير منهم نحو التخلي عن العمل مع هذا الطرح أو ذاك نفوراً من كثرة الخلاف والنزاع والشقاق المؤدي إلى المزيد من الكراهية والحقد في النفوس.

والواجب أن يشعر المخلصون في الأمة حين يبرز عالم أو داعية أو شخصية إسلامية في الساحة بالغبطة والسرور لأن فارساً جديداً نزل إلى ميدان المعركة الفكرية معهم ضد خصوم الإسلام الذي يقول الجميع بأنهم يعملون من أجل التمكين له في الأرض، وأن يشعر الجميع بأنه قوة تضاف إلى قوتهم تسهم في

تخفيف العبء الثقيل عنهم حيث يسد معهم ثغرة من ثغر الإسلام مع العاملين في الحقل الإسلامي الذي يتسع للكثير ويحتاج إلى الكثير، وقد قال ﷺ: «كل منكم على ثغرة من ثغر الإسلام فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله»[1].

إن وجود هذا الشعور فيما بين المسلمين سيؤدي إلى تحقيق التكامل فيما بينهم فيقوى بعضهم ببعض ويستعصون على العدو بدلا من السعي إلى عرقلة المسيرة الإسلامية ووضع العقبات في خط سيرها بتنازعهم وتفرقهم بطعن بعضهم في بعض وتشكيك بعضهم في بعض وكراهية بعضهم لبعض لاختصاص كل حركة أو جماعة أو جمعية أو حزب بأمير خاص بهم يرعى شئونهم وحدهم ولو على حساب الأمة كلها لأنه لا إمام واحد يجمعها جميعاً لينظر في مصلحة الجميع:

وما شكواي أو شكواك إلا ... لفوضى في المجامع وانقسام
ترى كلاًّ له أمل وسعي ... وما لاثنين حولك من وئام
لكل جماعة فينا إمام ... ولكن الجميع بلا امام

فإذا توحد الجميع على إمام واحد فإنهم يصبحون قوة لا يستهان بها على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والإجتماعية والفكرية والثقافية وغيرها:

تأبى العصي إذا اجتمعن تكسرا ... وإذا تفرقت تكسرت آحاداً

وإذا لم يفعلوا ذلك فسيهدم بعضهم ما يبنيه البعض الآخر:

متى يبلغ البنيان حدَّه ... إذا كنت تبنى وغيرك يهدم

نسأل الله تعالى أن يؤلف بين قلوبنا وأن يوحد كلمتنا لتتحد صفوفنا وتتلاحم طاقاتنا ونخرج مما وقعنا فيه من وهدة المهانة وحمأة الذل وخزي الضعف على كل صعيد وفي كل مكان، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

---

(١) يؤيده حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. وشبك بين أصابعه. رواه البخاري ومسلم والترمذي. انظر جمع الفوائد جـ ٢، ص ٣٥٧ رقم الحديث ٧٨١٢. وانظر مختصر مسلم للمنذري جـ ٢، ص ٢٣٢ كتاب البر والصلة باب المؤمن للمؤمن كالبنيان. رقم الحديث ١٧٧٣.

الخاتمة

وتشتمل على أمرين :

أولاً : النتائج .

ثانياً : التوصيات .

ثبت المراجع

أولاً ـ النتائج:

بما ذكرناه نرى أنه يمكن تحقيق وحدة الأمة الإسلامية على أُسس صحيحة وواقعية تأخذ بعين الاعتبار المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية والظروف المحلية والدولية أثناء انطلاقة المسيرة الإسلامية في صحوتها الجبارة المتعاظمة في امتدادها العمودي والأفقي لتتخذ هذه الأمة موقعها للمحافظة على الأرض والحقوق التي طمع فيها أعداء هذه الأمة في الداخل والخارج في السر والعلن من الصهاينة وعملائهم ومن يدور في فلكهم تحت مختلف الشعارات والأردية، مستغلين في ذلك تفكك الأمة وتشرذمها على صعيد الأفراد والتنظيمات والدول الناشىء عن تعدد ولاءاتهم ومراجعهم التي دخل عليها المندسون من خلال هذا الخلل فأوقعوها في دوامة الخلاف والنزاع والشقاق الذي أمرضها وأقعدها عن المحافظة على أرضها وحقها والدعوة إلى الله تعالى في أرجاء الأرض بالحكمة والموعظة الحسنة، محاولة منهم لإجهاض الصحوة الإسلامية المعاصرة أو استغلالها لصالح أعدائها تحت مختلف الشعارات البراقة، التي لا ينجي الأمة من الوقوع تحت تأثير ضغوطها وتضليلها إلا وحدة الولاء في المؤمنين في العلاقة بينهم وبين الله تعالى من جهة وفي العلاقة بينهم وبين المتجانسين معهم في المعتقد دون اعتبار للون أو لغة أو جنس أو حزب أو دولة من جهة أخرى:

أ ـ فمن خلال اللجان العقائدية والتشريعية في مرحلة توحيد السنة بالسنة نكون قد هيأنا الصف السني ليلتئم الجسم السني بعضه مع بعض بسبب الإنسجام العقائدي والتشريعي فيما بينه بالعرض على الكتاب والسنة.

ب ـ ومن خلال اللجان العقائدية والتشريعية في مرحلة توحيد السنة بالشيعة

نكون قد هيأنا الصف الإسلامي العام ليلتئم السني بالشيعي بالعرض على الكتاب والسنة ليشكل ذلك الأمة الإسلامية الواحدة.

جـ - وبذلك نوجد المعسكر العالمي الثالث بدلاً من أن يكون العالم منقسماً إلى معسكرين أحدهما شرقي الحادي والآخر غربي رأسمالي إباحي يقودان البشرية إلى هلاكها في الدنيا والآخرة.

د - وإن الفشل الذريع الذي مني به المعسكران على الصعيد الفكري مؤخراً والذي ورث البشرية الخاضعة لهما شقاء نفسياً كبيراً جرى التعبير عنه بمختلف الصور والأساليب حتى انتشرت فيهم ظاهرة الإنتحار والهيبز والإجرام والإستخفاف بالقيم الاجتماعية والحضارية السائدة عندهم بالإضافة إلى التخلص من الحياة المفروضة عليهم في المعسكر الشرقي بالعنف والعشوائية لدى بروز أول بارقة أمل في إمكانية ذلك كما حصل في رومانيا وغيرها إن كل ذلك ليفسح المجال واسعاً للمعسكر الإسلامي الصحيح ليتخذ محله ويقوم بدوره بتوجيه البشرية لإسعادها في الدنيا والآخرة عبر تعبيدها لله تعالى وحده الذي يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، بإخراجها من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان والمذاهب الوضعية لتحريفها وانحرافها لكونها بشرية المصدر إلى عدالة الإسلام لسلامته وسماحته لكونه رباني المصدر بمثاليته الواقعية.

هـ - وإذا لم نتمكن من توحيد السنة بالشيعة يبقى بيننا وبينهم صيغة التحالف لتحقيق مصالح مشتركة، فلا يذوبون في الجسد الإسلامي السني لئلا يصبحوا بذلك مصدر قلق وضعف في الجسم الإسلامي، وحتى لا نصبح نحن المنحرفون في نظرهم مصدر قلق وضعف في الجسم الإسلامي الذي يرونه باجتهاداتهم ومبادئهم هو الحق (ولكل وجهة هو موليها).

ثانياً - التوصيات:

هذا البحث الذي يهدف إلى الحفاظ على الصحوة الإسلامية من الإجهاض

أو محاولة الإستغلال من الشرق أو الغرب أو المنافقين المندسين وإلى ترشيدها وتقويتها لتصبح المعسكر الدولي الثالث نوصي كل من يقرأ هذا البحث بالنقاط التالية:

أ ـ الإستعانة بالله تعالى واللجوء إليه وطلب الإعانة منه لإدراك خطوات هذا المشروع وخلفياته.

ب ـ التجرد من الاستعجال في الحكم على البحث أو له إلا بعد القراءة الواعية والتشاور مع ذوي الرأي والخبرة من دينيين أو سياسيين أو غير ذلك.

جـ ـ عدم التأثر بالتيارات المؤثرة على الأرض التي قد ترفض هذ المشروع فإن الرفض كما قد يكون لأن المشروع غير صحيح فإنه قد يكون أيضاً للخوف على المصالح الذاتية والمطامع الشخصية أن تذهب على أصحابها في حال ذوبانهم في المجموع العام للأمة الإسلامية، ولكنهم يغطون هذا الرفض بتهم ودسائس على المشروع وعلى من طرح المشروع لإخفاء الحقيقة التي تعتمل في نفوسهم كما كان يفعل زعماء قريش حين هاجموا النبي ﷺ تارة في شخصه فوصفوه بالكاذب والساحر والكاهن والشاعر وتارة في دعوته فوصفوها بالكذب والإستحالة (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على الهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) وقد فضح الله تعالى حقيقة نواياهم ودخائلهم التي حملتهم على رفض متابعة الدعوة وتصديق الداعي للتخفيف من همّ الرفض الذي لحق برسوله ﷺ فقال: (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)، (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً)، وهذه حقيقة المتكبرين في كل مكان وزمان.

د ـ في حال اقتناعك بالمشروع فعليك واجب الدعوة إليه بكل همة ونشاط لأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أوجبه الله تعالى علينا وجعلنا به خير أمة فقال: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف**﴾ وعلى رأس المعروف في العلاقة مع الله تعالى توحيده في العبادة وفي

العلاقة مع الناس توحيد الولاء مع المتجانسين في المعتقد ﴿**وتنهون عن المنكر**﴾، وعلى رأس المنكر في العلاقة مع الله تعالى الشرك به، وفي العلاقة مع المتجانسين في المعتقد التعدد في الولاء ﴿**وتؤمنون بالله**﴾ ومقتضى الإيمان بالله تعالى العمل بما أنزل في القرآن من أحكام اعتقادية وتشريعية لتوجد الأمة الإسلامية الواحدة بالولاء فيما بينها قمة وقاعدة العابدة لرب واحد بالولاء له وحده دون شريك.

هـ - وفي حال عدم اقتناعك بما تقدمت به إليك فأرجو أن يكون رفضك مفيداً وبناء، وذلك بتقديم بديل ناجع وصالح للعمل به من الناحية العملية والتطبيقية للخروج بالأمة من خطر النزيف الدائم الذي تعاني منه بسبب التفرق والتنازع والتحاقد الناشىء عن تعدد ولاءاتهم لتعدد قياداتهم ورؤوسهم، وإلا كنت كمن يرى جريحاً ينزف دماً وقد باشر طبيب معالجته لوقف النزيف فمنعه من ذلك بحجة أن الطريقة التي يستعملها غير مناسبة، ولكنه لا يعرض الطريقة الأنسب فيستمر النزف ويعظم الخطر ويكون من يفعل ذلك إما صديقاً جاهلاً أو عدواً في ثوب صديق، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، وقد شنَّعَ الله تعالى على المشركين رفضهم متابعة محمد ﷺ فيما جاءهم به من الهدى لإخراج الأمة من ويلاتها وطالبهم حتى يكون رفضهم معتبراً بالإتيان بالبديل الأصلح فقال تعالى: ﴿**فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل وقالو سحران تظاهراً وقالوا إنا بكل كافرون، قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه إن كنتم صادقين، فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾.

فالمشروع يشتمل على قسمين:

الأول - وجوب وحدة الولاء في المؤمنين وهذا لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين.

الثاني - أن يكون الولاء للإفتاء وهو أمر اجتهادي فمن رفضه فعليه بالبديل

وإلا كان متهرباً من وحدة الولاء، في الحقيقة حفاظاً على مكاسبه الذاتية مادية كانت أو معنوية.

و - وأخيراً، يجب أن لا يغيب عن الأذهان أن هناك فرقاً كبيراً بين المبدأ والممارسة، أو بين النظرية والتطبيق، ولا يجوز أن يتحمل المبدأ مساوىء التطبيق، فقد يكون عدم التطبيق أو الإنحراف فيه عملاً مقصوداً للإساءة إلى المبدأ للتنفير منه، كما يفعل الكثير من المنتسبين إلى الإسلام حيث يمارسون أعمالاً يرفضها الشرع وينهي عنها، ولكن أعمالهم تحسب على الإسلام فتسيء إليه عند من لا يفرق بين المبدأ والممارسة، أو من يسعى للتمويه والتزوير.

ومن هنا يستغل أعداء الإسلام تلك الظاهرة ويجعلون منها ثغرة للنفوذ إلى المبادىء الإسلامية والطعن بها، فيقولون: إن الإسلام سبب تخلف المسلمين.

والحل إنما يكون بالسعي إلى إعادة الناس للإلتزام بالدين والتحلي بآدابه والعمل بشرائعه وليس بالتخلي عنه واستنكاره إذن لفسدت الموازين وضلت العقول وفاز الأعداء والخصوم بمطلبهم ووصلوا إلى أهدافهم، فالعبرة للمبدأ قبل الممارسة.

ومثل ذلك يقال في الإفتاء، وكل حركة أو حزب أو جماعة أو جمعية أو تنظيم أو مؤسسة رسمية كانت أو شعبية.

فهل يسعى الأفراد والجماعات والجمعيات والحركات والأحزاب والتنظيمات والشخصيات الإسلامية للحفاظ على الصحوة الإسلامية قبل فوات الأوان بالموت ووراءه سؤال الله تعالى عن التقصير في تحقيقه، أو بالسقوط في هوة الهزيمة أمام الطامعين والحاقدين ووراءه سؤال الأجيال القادمة ولعنتها بسبب تضييعنا لحقوقها وأرضها إيثاراً للسلامة مع الذل على الخطر مع الكرامة ثم الحساب العسير يوم القيامة.

﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د. زكريا المصري

ثبت المراجع

- القرآن الكريم.
- أصول الفقه الإسلامي، للدكتور وهبة الزحيلي. طبع دمشق، دار الفكر المطبعة العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ، سنة ١٩٨٦ م.
- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م توزيع مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النصر بالرياض.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ بتعليق محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى محمد بمصر.
- تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، للعلامة أبي علي محمد عبد الرحمٰن المباركفوري المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ، بمراجعة عبد الوهاب عبد اللطيف. الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م مطبعة المدني بالقاهرة.
- الترغيب والترهيب. للإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ بحقيق مصطفى عمارة، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م. مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- تصوير الكتاب والسنة للإنسان: من أين جاء ما هو دوره إلى أين مصيره. للشيخ الدكتور زكريا المصري قيد الإعداد للطبع.
- التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني. طبع دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ سنة ١٩٨٣ م.
- تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ طبع دار إحياء التراث العربي في سوريا سنة ١٣٨٨ هـ سنة ١٩٦٩ م.

ـ تفسير القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ نشر دار الكتاب العربي بالقاهرة سنة ١٣٨٧ هـ، سنة ١٩٦٧ م.

ـ تهذيب سيرة ابن هشام. للأستاذ عبد السلام هارون. الطبعة العاشرة سنة ١٤٠٥ هـ سنة ١٩٨٤ م، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

ـ الجامع الصغير. انظر فيض القدير الآتي قريباً.

ـ جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد. للإمام محمد بن محمد بن سليمان المغربي المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ طبع سنة ١٣٨١ هـ سنة ١٩٦١ م بتعليق السيد عبد الله هاشم اليماني بالمدينة المنورة.

ـ الحركات الإسلامية في لبنان إعداد أسرة تحرير مجلة الشراع طبع في مطابع دار حنين بيروت.

ـ الدراية في تخريج أحاديث الهداية، للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ طبع بمصر سنة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٨٤ م ملتزم الطبع والنشر السيد عبد الله هاشم اليماني المدني.

ـ الرخص الفقهية. للدكتور محمد الشريف الرحموني. نشر مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله في تونس الطبعة الأولى/لبنان.

ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧١ هـ بتعليق رضوان محمد رضوان، طبع دار الكتاب العربي، بيروت.

ـ زاد المعاد في هدى خير العباد. للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ سنة ١٣٥٠ م بمراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف طه، طبع ونشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٩٠ هـ سنة ١٩٧٠ م.

ـ سيرة ابن هشام. هو أبو محمد عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ تعليق محمد خليل هراس نشر مكتبة الجمهورية بمصر لصاحبها عبد الفتاح مراد.

ـ صحيح البخاري. لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ. مكتبة الجمهورية العربية بمصر.

- صحيح مسلم بشرح النووي محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ المطبعة المصرية ومكتبتها.
- فيض القدير بشرح الجامع الصغير. للعلامة عبد الرؤوف المناوي. الطبعة الأولى سنة ١٣٥٦ هـ - سنة ١٩٣٨ م مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني المتوفى سنة ١١٦٢ هـ، بتعليق أحمد القلاشي، مطبعة الفنون بحلب، نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي.
- مختصر صحيح مسلم، للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة ٦٧٦ هـ، بتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني.
- مجمع الزوائد ومنبع الزوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر. نشر دار الكتاب، بيروت لبنان.
- معرفة الخلاف الفقهي قنطرة إلى تحقيق الوفاق الإسلامي للشيخ زكريا عبد الرزاق المصري، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ سنة ١٩٩٠ م طبع مؤسسة الرسالة. بيروت.
- المرسوم الإشتراعي الثامن عشر لعام ١٩٥٥ م (الإفتاء والأوقاف الإسلامية) المعدل بالقرار رقم (٥) تاريخ ٢١ ذو القعدة سنة ١٣٨٦ هـ ٢ آذار سنة ١٩٦٧ م، قانون ٢٨ سنة ١٩٥٦ م والنظام الداخلي للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- الموافقات في أصول الأحكام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ مطبعة المدني بالقاهرة بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.